المحاضرة السادسة

علاقة الفلسفة بالدين

تشكل إشكالية البحث عن الحقيقة حجر الأساس وجوهر التفكير الفلسفي ما يمنحه القدرة على دراسة جميع النظريات والتصورات الفكرية،مهما اختلفت مجالاتها ومدارسها ومرجعيتها ،ومعتقداتها ومن بين تلك التيارات نجد ذلك الاتجاه الذي يجمع بين الفلسفة والدين ومنه نطرح السؤال

هل تحيط مباحث الفلسفة وموضوعاتها بكافة أنشطة الإنسان؟

ما علاقة الفلسفة بالدين؟

من الموضوعات التي يحتاج الإنسان عامة والمتعلم خاصة أن يتعرف على حقيقتها هي موضوع العلاقة بين الفلسفة والدين خاصة إذا كان الدين يسود المجتمع كاملا ويعتبر أهم شيء في المجتمع ،إن الكشف العلاقة يوضح طبيعة الفلسفة خاصة أن الفكرة الاساسية التي سادت و تسود تتمثل في أن الفلسفة تعارض الدين وأن دراستها تؤدي الي الإلحاد ومن الأسئلة التي تطرح أيضا أيهما أقدم و أسبق الدين ام الفلسفة؟

تعريف الدين:

تعرف معاجم اللغة مصطلح الدين بمعانى متعددة كالجزاء والمكافأة،تدل أيضا على الطاعة والعبادة..... وفي الاصطلاحي الفلسفي هم"جملة من الإدراكات و الإعتقادات والأفعال طاعة لله عز وجل وعبادة له (جميل صليبا،المعجم الفلسفي،ج 1 ص572) ففي الاصطلاح الفلسفي تتوسع دائرة الدين لتشمل جميع العبادات الصحيح منها والفاسد سواء كان الديانات السماوية أو الوثنية.

يؤكد اغلب الباحثين على اسبقية الدين،فعملية العقيدة الدينية مصاحبة لحياة الإنسان ولايمكنه أن يتخلص منها مهما بدل من جهد خاصة عندما يكون في ضيق كوجوده في بحرهائج تلاطمه الأمواج،أوفي حالة مرض شديد..... في هذه الأحوال يشعر الإنسان بوجود قوة خارقة للعادة وراء هذه المظاهر الطبيعية يلجأ الي الدين.

نشأت الفلسفة في احضان الدين هذا ما أكده ميد"الفلسفة والدين هما توأمان عقليان متلاصقان...والدين يحتل مركز السلطة السائدة "(ميد ،الفلسفة أنواعها ومشكلاتها،ص 33) لم يكن التفكير الفلسفي منفصلا عن الدين والثقافة الدينية و أخد الفلاسفة اليونانيون الأوائل أصول فلسفتهم من الأديان السابقة (خاصة الديانة المصرية) وكان الفكر الأسطوري الديني بمثابة المرحلة الانتقالية أو الممهدة لنشوء التفكير الفلسفي الذي يعتمد على التفكير العقلي المنظم اذ يطرح الدين والفلسفة أسئلة واحدة:

ما اصل الإنسان ومصيره،ما علاقته بالكون ،وخلود النفس،ماعلاقة الإنسان بالله ،ما علاقة السلوك البشري بالسعادة الإنسانية رغم أن الإجابات تختلف لكن إشتراكهما في مثل هذه المشكلات الكبرى يجعلهما يتداخلان تداخلا جزئيا في بعض الأمور. إنهما يشتركان في الحقيقة ،و إهتمامات الدين الاساسية هو تحصيل معرفة مؤقتة،ولكن الدين ليس أمرا عقلانيا خالصا بل يدعو الدين بصورة مثالية الي الإلتزام من جانب كل شخص بالقيم الاساسية التي تحفظ له بقاءه ، وتحافظ على صنع علاقة طيبة مع الاخر،ومن تم يدعو الدين الى أن نسلك طريق معين في الحياة ونتحمل مسؤوليات اجتماعية ،ومن هنا قد نعتقد أن الفلسفة نوع من الدين أو العقيدة ، وهذا أمر خاطئ للاختلاف الموجود بينهما في الغاية والوسيلة والهدف.

الدين الوضعي:

لجأ الإنسان البدائى الي تفسير الظواهر المحيطة به ،فظهر الاعتقاد الديني،وهو اعتقاد عقلي يعتمد على التأمل والنظر،عبر البدائى عن ذلك الدين بالصلوات والأناشيد والمزامير في المعابد والبيوت هذا ما يسمى الدين الوضعي فهو غير قائم على الوحي أو رسالة بل هو قائم على تعدد الآلهة لأن لكل مدينة آلهتها الخاصة والنزاع بين المدن كان له مظهر الصراع بين الآلهة المختلفين المحليين ،وبعد التوحيد السياسي بين المدن إحتل أحد الآلهة المحليين مركز الصدارة وكان دور الآلهة مهيمنا فإذا أصاب الإنسان خيرا هذا دليل على مرضاة الآلهة،أما إذا أصابه شرا فهذا رمز على غضبه،ومنه إن العقل العملي في الحضارات القديمة كان في خدمة التأمل الميتافيزيقي و يحس الإنسان براحة البال وهدوء النفس إذا قام بواجبه نحو الآلهة

كيف جسد الإنسان القديم علاقة الفلسفة بالدين؟

الفلسفة والدين في الفكر المصري

يعد الإنسان المصري شديد التقوى حتى قال عنهم "هيرودوت""أنهم أكثر الناس تدينا لأن أهم شيء بحث فيه حكماء مصر القدامى هو تطهير النفس الإنسانية وإعدادها للانتقال من دار الفناء الي دار البقاء "(الشرقاوي محمد عبد الله،مدخل نقدي لدراسة الفلسفة ، ص27)

قدم المصري القديم بعض الأفكار الفلسفية المرتبطة بالدين مثل فكرة الخلود بعد تأمله ظاهرة الموت فبعد ملاحظته الطبيعة وجد أن كل ما حوله يموت و أراد أن يفلسف هذه الظاهرة فآمن لأن الموت يعقبه البعث ، وأن للإنسان حياة أخرى فبررها تبريرا أخلاقيا (أسطورة ايزيس و أوزيريس)

مزج المصري القديم بين الدين والفلسفة في تعاليم " بتاح حوتب " وتعليم ابنه الأخلاق الحميدة والحياة الصالحة على الصعيد الاجتماعي والسياسي ولا يستطيع الإنسان التحلى بالفضائل إلا إذا أعمل عقله في كل سلوك وعبر بتاح عن ذلك في قوله"اتبع لبك (عقلك) مادمت حيا "(النشار،تاريخ الفلسفة اليونانية ، ص40).

يتضح من هذه المقولة أن المصري القديم مزج في تصوراته بين الدين والفلسفة "بتاح" هو الصانع الأعظم الذي خلق العالم برمته"أن بتاح العظيم هو قلب الآلهة ولسانهم "(الشرقاوي،مدخل نقدي لدراسة الفلسفة،ص22)،قصد بالقلب العقل أو الفهم الذي يبدع الفكر،أما اللسان فهو الأداة التي تعبر عن أفكار العقل،رمز النطق أو الكلمة

يتأكد من ذلك أن المصري تصور عملية الخلق وفق نظام محكم ومحدد محمي بعقل محيط بكل شيء،هذا ما يوضح امتزاج الفلسفة بالدين وكيفية الخلق أي الانتقال من حالة الفوضى الي حالة النظام ،العقل مركز كل وجدان ثم تصور الكلمة التي تخرج العناصر الي الوجود.

الفلسفة و الدين في المجتمع اليوناني

تقوم ديانة اليوناني القديم على تعدد الالهة رئيسهم هو زيوس (Zeus) ومقرها جبل الأوليب ،تحمل هذه الالهة جميع صفات البشر (يكرهون،يحبون،يتنافسون...)ولكن هم خالدون ومن الذين اهتموا بالمسألة الدينية أكسينوفان (570 - 478ق م) وانتقد آلهة اليوناني لأنه صوروها على هيأته ويقول"فالأحباش يجعلون آلهتهم سود البشرة فطس الأنوف،و أهل تراقيا ذوو عيون زرقاء وأكثر من ذلك لو أن البقر و الخيل كانت لها أياد تستطيع أن ترسم بها لصورت لنا الآلهة على صورتها ومثالها "(الأهواني فجر الفلسفة اليونانية،ص96) ذهب أكسينوفان الي تنزيه الاله بوصفه عقلا محضا كله بصر وفكر لكنه تعرض للاضطهاد.

و كانت هذه الإشارات أساس نظرية السفسطائيين (السفسطائي تهكم على الآلهة) الفيلسوف اليوناني بصفة عامة آمن بقدرة العقل وعالج المشكلات اللاهوتية بالأدلة المنطقية والبراهين العقلية ولم يضعوا أمام العقل أي حد في الحكم على صفات الآلهة وأعمالهم وعلاقاتهم بالناس.